خريف

مصطفى الشومان

خريف

مصطفى الشومان

نصوص وخواطر

2022م - 2023م

_____ خريف _____

حسابي الفيس بوك

https://www.facebook.com/profile.php?id=100063145960221

الإهداء

- إلى أمي وأبي : لن يهدأ لساني عن ذكركم في الدعاء.

- إلى اسيل : عقيمةٌ كل امرأةٍ لستِ ابنتها.

- إلى آمال الظاهري : رغم كل السواد من حولي، والدول التي بيننا، ألا انكِ

مصباحُ الامل الذي لم ينطفأ يوماً.

لماذا كتبتُ؟

البكاءُ نوعان

النوع الأول : أن تذرف الدمعَ

والنوع الثاني : أن تُنزفَ الحبرَ

وأنا لاأجيدُ ذرف الدموع.

بدايةً....

إنَّ حالي أشبه بورقةِ خريف

الورقةُ التي كانت ذات يومٍ مخضرةً ، شديدةُ التعلق بغصنِ شجرةٍ،

هل تعلم كيفَ شَحُب لونها ، وعبثَ بها الهواء..؟

-انها فارقت غصناً كان لها مسببَ الحياة.

جلستُ ذات يومٍ مهادناً ذاتي ، ناطقاً بعضَ الكلماتِ،

فقلتُ :

لا كمالَ لشيء في هذه الدنيا، فالموت فيها ختامٌ للبُأسِ كما هو ختامٌ للذَّاتِ.

لكن هل تنتهي الحياة عند الموت فقط؟

-لا، تنتهي الحياة أيضاً في أجسادنا ونحن أحياء

متى يحصل هذا، وكيف؟

- عند لحظات الفراق

فراقٌ بعد خيانة ، أو فراقٌ بعد حبٍ !!

إنهما لفظانِ مختلفانِ لألمٍ واحدٍ ، وحدوثها كفيل بنهاية شغفنا في إكمال الحياة.

يمرُ الإنسان بمراحل كثيرة بعد بلوغه يتعرضُ من خلالها على مغرياتٍ كثيرة وصفعاتٍ أكثر .

يبدأ باتخاذ موقفه في مجالات الحياة كافة، وستجد في هذه الصفحات التي سطرَتْها أناملي أشياء كثيرة ربَّما قد عَبَرَتك ، وربَّما أنت تقع بها الآن، أو أنك مقبلٌ عليها.

خَرِيفُ حُبّ

هنالكَ جنسٌ يمكثُ معنا على هذا الكوكب، يلينُ الحديدُ بين أنامله، وتَضعُفُ

جبابرة الأرض في ظله، وَيُشتقُ عبقُ الياسمينَ من عطره .

إنها أمك

إنها شقيقتك، وصديقتك وكل أنثى رقيقة على وجه الأرض.....

إنها حواء يا آدم ، فالزم ثباتك

نعم، إنها حواء

حارت بها الظنون كأنها لغزٌ

ومن فكَّهُ هو والسعادةُ في بقاء

التزم الودَّ في جوارها كي تُصان ، ولاتعزف بحبالِ الغدرِ حتى لاتهان

هناك أنثى

وجدتها بين الملأ

كانت كوكباً متلألأً في سماءِ ليلٍ، يبعثُ الأنوار

ويُبهرُ الأنظار.

لا أعلم ماذا يجرني نحوها ، لكنها تجزبني من بين العابرين كالكتلةِ

المغناطيسية وهي تجزب قطعة الحديد.

إِنَّهَا حَوَاءُ

_____ خريف _____

إنها حواء ياسيدي تَملِكها إن أحبّتكَ ، وسلاماً على بقايا رمادٍ ستتركه لك إن

أبغضتك.

في كلِّ فسحةٍ من جسدها كتب كاتب، وتغزلَ شاعرٌ، ، وضحّى فارسٌ، وبنيت

أسوارٌ ، وهُدمت حصون.

فمن أنت لتقفَ أمام هذا الصرح العظيم؟

إنها رقيقةٌ في فطرتها، لطيفةٌ في معاملتها، أنا في رعايتها

فاكسب جوارها، واحذر عصيانها

لأنها تجيدُ العبثَ في مشاعرك كما يجيدُ شعراءُ الأندلسِ التلاعب في الحروف .

إلى من تجلى بدرُ الدُجى في وجهها

أبجديةٌ تعجز عن وصف محاسنٍ وهبكَ الله إياها،

لكن لكِ من حروفي نصيب

كتبتُ لكِ بالقلمِ مبحراً بين أمواجِ حسنكِ،

فمالي إلا أن أجدَ نفسي غارقاً في ثناياكِ

وأنا أولُ من عشقَ الغرق

فماذا عني أنا

ودُجنةُ الليلِ وسط مقلتيها

ويلتفُ حولهما القمرَ

غريقٌ في تلكَ الدجنةِ أنا

وما أبهى مارسمه القدرَ

وحُمرُ شفتيها، وحريرُ شعرها معالمٌ،

حتى وإن غابت بقي الأثرُ

وكعبُ نهديها، وتاجهما ثمارٌ نضجت

وإنني لها قاطفٌ، وراعي

فياليتكِ بحلمي أتيتِ

أو كنت بجوارك كلَّ مساءٍ داني

لبنيتُ بين رواسيَّ صدركِ منزلاً لي،

وجعلتُ ذراعيكِ أمني وأمانيَّ

وخصرها المياسُ عوداً،

فهل سمعتم بعودٍ يحملُ رواسي؟

متعطشٌ لقربكِ،

ومتلهفٌ لرؤيتك ملتفةٌ بين ذراعيَّ،

والأجسادُ على بعضها مترامِيَّ.

هزني الشوقَ كما هز المشيُّ أردافها،

فأخبرتها، فكانت

بثوبِ الحياءِ متحليةً، متغطية

العشقُ عشقُ الروح ، والجسد

وماقيلَ غير ذلك

فإنني بالقول لستُ مباليَّ

ولو أنني سقطت في محكم جوارحها،

لفضلتُ البقاء طيلةَ حياتيَّ.

عندما كتبتُ هذه الكلمات، كنت في رغدِ العيش بجوارك.

لم أظن أن هذه الكلمات ستبقى ذكرى بعد أن حالت بيننا المسافات،

وقُطِّعت بيننا السُبُل.

- لا أريد تلك الطرق التي تغنى بها العرب ، والعجم للوصولِ إلى روما،

أريدُ طريقاً واحداً يَصلُني بك

فقد انتصر وجهكِ على روما.

تأخر الوقتَ وفات الآوان

والبعدَ أرغمها على فؤادِ غيري في المُقام

وإن صح لنا لقاءٌ فسيكون ممزوجاً بالدمعِ ، مرافقاً باالأوهام.

ولن يجدي بعدها نفعاً لافي ودادٍ، ولا حتى في الخصام،

وغدا كلُّ لقاءٍ كنت أحلم به مؤلماً،

ولم يكن هناك اشدَّ ألماً من هذا اللقاء،

التي اصتدفت ذات يومٍ بكِ في إحدى الحدائق .

أَلَمُ اللِقَاءِ

وعندما ظننت أن الحظَ حالفنا بعد مرورِ السنين باللقاء،

دنت بجانبي وسألتني بصوتٍ خافتٍ : مازلتَ تذكرني !؟

في ظِلِّ أيامِ الفراق الظلماء،

كل يوم قد مضى ترك أثراً على ملامحي، وجوراحي التي تبعثرت،

كما تبعثرَ الغبارُ في الهواء

المرضُ طغى على جسدي،

ولازلت مؤمناً بالقدرِ والقضاء.

والروحُ تأنُ أنينَ المفارقةِ من هولِ ماحصل،

وتسأليني من بعدِ فراق !!!

أتذكُرُنِي .....!؟

لو يعلم هذا الطفل الذي يلهو بجانبك بأنني صارعت مرَّ الحياة لأفوز بك،

ولأعلنَ في جواركِ البقاء.

وإنني ناجيتُ الله ورجوتهُ في الدعاء حتى تنطق شفاهه بأبي بدلا من كلمة عمي

التي نطقها منذ لحظات.

ولو كنتُ أعلم برحيلكِ لمَا أحببت ، ولا بتلك العيون فُتِنت، ولا بين خصالِ

شعرك اختبأت،

ولا حلمي معكِ بنيت،

ولا حياتي هدمت.

لاليلٌ كأنين ليلى،

وازددتُ فوق الشقاء شقاء.

شبح الذكريات يقتحم حصني كل ليلة، بعد أن دمره

ويتفنن بالرقصِ على جثتي،التي تشكو بقاؤها على قيد الحياة.

ثم بعد تلك السنين تسأليني، أتذكرني؟

فلتشهد أيامي أنني لم أخنك حتى في تفكيري فاحملي طفلك وامضِ، فقلبي لا يحتمل الألم مضاعفاً، وكان فراقكِ كالنار، أذاقَ فؤاديَّ أقوى اللفحات

ثم ندَهت باسمي فالتفتُ أنا والطفل نحوها بعد أن غَرغرت في مقلتيها الدمعات.

كأنها كانت للفراق رافضةٌ،

كانت الدمعاتُ من تُنصت، وهي من تحكي.

وما إن سارت خطوةً للأمام حتى التفتت،

وقالت : لا تلمني فلستُ قاسيةَ القلبِ ،

حكمت بيَّ الأيامُ وأنا رافضةٌ لحكمها

كرفض الأرضَ لشربِ الدمِ.

سامحني، فأنا في الهواء مثلكَ مبعثرة،

وجلُّ ما أعلمه أنني شِبْتُ في ذكراكَ من حنينٍ ، ومن وَجدِ

فقضاءٌ كُتِبَ علينا أن نبتعد،

وقدرٌ لنا أن نشقى في البعد.

-فقولي لي : كيف السبيل للخلاص من أوهام تفكيري ، وآلام ليلي،

إن الليل عاداني في صفِ الفراق،

وأَكسرَ عُضدي.

وأنا إنسانٌ يمكثُ في ظلِّ عدوه مهزوماً،

والعدو كان قاسي القلب .

إنَّ الليل سلاحٌ ذو حدين،

فإن اتيته بالسرور، والرضا زادك سروراً، ورسم على وجنتيكَ البسمات.

وإن اتيته معذباً ، أو مفارقاً لخلٍّ، زادك من الأنين، والدمعات.

أما عن ليلي فإني واصفه ببعض الكلمات.

مابعد منتصف الليل

وفي غسقِ الدجى ، رأسٌ تفتكُ به الضوضاء، رغم سكينة ماحوله،

لاريبَ بأنها الذكريات الفتاكة، التي أقارع وحشتها كل يوم، ولاسبيل للخلو منها.

لو كانت سُبلَ الخلاصِ بالبكاء لذرفت الدموع ذرفاً لطي صفحاتها ، لكنها أكثر من البكاء،

انها دموع لاتغيض، ولاتفيض، عالقةً مابين العودة والخروج.

هو حنين الروح، بل هو بعد الجسد.

لافارق بين الجثة والمفارق سوى تلك النبضات التي تخرج من يسار صدرِ ذاك المفارق النحيل.

فلا اسفاً على حياة أُزهقت فيها أحلامنا، وادركنا الوهنُ في صبا اعمارنا، ويستحيل النهوض من عمق شجانا استحالةً،

وشرارةُ الامل التي كانت تؤنسنا انطفئت.

" اصبتني بسهامك مرتين، فالأول قد أحيا والثاني أمات "

ومابين الاثنينِ خضت حرباً،

هزمتُ مرة وانصرت مرات.

لكن الهزيمة في هذه الجولة

محت كل ماحققته من انتصارات.

لا شبيه بآلام الحب سوى الحرب،

و إن الحب حرب ، لكن ليست الحرب حباً، كلامها في البدايةِ وطن يمر عليه معظم الناس بالحب والحنين، ثم الوجع والهجران، وقليلون من يحاربوا من أجله حتى يفوزو به، أو يلقوا حتفهم.

اعلمي سيدتي، أنني حاربتُ من أجلك، وانتصرت في جولاتٍ كثيرة بغيةَ الوصول لكِ.

لكن لم يمنحني القدرُ الحق بالانتصار في إحدى المعارك الأمية، التي شارفت فيها على الانتهاء.

نظرت من بعدٍ، وجدت كل شيءٍ يقف في الطرف الآخر لمواجهتي ، ولقد كنتُ بمفردي،

حاملاً صورةً لكِ، اعلنتُ فيما سبق بأنها رأيتي.

وجدتك خلفهم، فاخترتُ أن تكوني معركتي هذه المرة حاسمة،

فصِلتُ وجلتُ،

حتى لقيتُ حتفيَّ بسنانِ وحش ضخم، وإن في ذكر تفاصيله خوفٌ ورعبُ،

يطلقون عليهِ اسم المسافات .

اطلق رمحاً مسموماً أصاب عنقي، فمكثت بوحدتي ،

ولا أعلم أيُّ طريقٍ بعدها سلكتِ،

وماحلَّ بكِ من الأنين بعدي.

فأتفاجأ بطفلٍ يجري جانبك بعد طول سنوات،

فاخترتُ البقاء في وحدتي

يحتاجُ الإنسان إلى عزلةٍ يبتعد بها عن البشر أجمع ، وعن اماكنه الجميلة.

يكتفي بأربعةِ جدران حوله ، وسجائرٌ لاتنتهي. يشكو لهم بُعدَ الصديقِ، وألامٌ خلفها الحبيب،

وبقايا روح.

بَقَايَا رُوح

شمسُ الخامس من سبتمبر شارفَت على الاختفاء. أراقبها من على شرفةِ المنزل

وهي تفسح الطريق لقدوم اللحظات الأولى من الليل.

انتهيتُ من آخر سيجارةٍ كانت في محفظتي،

السيجارة التي سبقتها تسعةً وعشرين منذ ستين دقيقة

سمعت صوت طرق أقدام على الأرض، كأنها تقصدني في المسير.

يظهر أنه شخص واحد، فاقترب ونادى بأربعة حروف خامسها معهم،

ورأسي مثقلٌ على ذراعَّي المنطوي، ياصاح،

رفعتُ رأسيَّ ، ووجهتُ نظري نحوه،

فقال : مرهقٌ أنت أم نائم، وحمر في مقلتيك تشكو ضعف العزائم،

وبياضُ سالفتك كأنك توحي الوهن، وحدبة ظهرك كأنك كهن،

بقايا سجائرٍك تخبرني أنك خِلٌ مع الدخان،

والهزائم تثني غضدك في كل أوان،

إن شئتَ فافصح ، وإن بدر مايسوءك، فدعني أعود وعني اصفح.

فنطق لساني بعد صمت طويل، وحركت ذاك البدن الهزيل، وقلت :

إنني في معركة مع الذاتِ، الانتصار مغرياً كما الهزيمة أمامه جميلة،

كشَوقِ سجين لوجه السماء، افتقد روحي القديمة ،

وحلم ليل بمن رحلوا يجمعني، ياليتَ المُنامَ طويل.

وطناً اشتقتُ له، وخلاً يضمه الثرى أشكو فقده،

وأحشاءً تتمزقُ كخروح روحٍ من جسد.

إن كان يهمك أمري فهل أنت لي ناصح ؟

وإن شئت الذهاب،فاذهب وكن للسرِ غير فاضح.

فقال :

لقد عجز اللسان ، والصمت غلب الكلام.

إن انتصارك، وسُحقكَ في حربك هزيمة، لكن سأدعو الله أن يهبك خيرَ الأقدار،

فإن كلامي لا يسمنُ ولايغني،

ولك مني دعاءٌ كل ما إن صليت،

و من جلوسك الآن الوقت قد منعني،

فاذن لي بالذهاب،

وأعدك أني سأكون معك قبل أن يطول الغياب .

فتنهدتُ تنهيدةً طويلة ،

وقلتُ له : اذهب ياصاح، إنني آمل من الله ألا يطول بي البقاء.

" إنني لو وجدت خلًّاً لما اتخذت من الجدارِ خليلاً، ولا ابدلتهُ بسجائرَ الدخان."

اخترتُ بعد معاناةٍ طويلة البعد على الاقتراب،

لكن لماذا لا اقترب.....؟

لَا تَقْتَرِبْ

كلما ازددتُ إبحاراً في عالمِ شخص ما ، اتفاجأُ بأشياءٍ لم أكن أراها بهِ وأنا عابر

.

وجدتُ الحبيبَ عندما يضمنُ وجوديَّ بجانبه يرهقني، ويشعرني كأنني النار،

وكلَّما اقترب مني ازدادَ حرقاً، وفي بُعدهِ عني السلام.

ووجدتُ الصديقَ يطوي آلافَ الصفحاتِ من الودِّ، ويجري عني لأسباب لا

تستحقُ حتى الكلام.

فلا تُعَبر عن كل ماتختزنه من مشاعر للطرف الآخر،

ولا تُفرط في الاقتراب منه.

وضع في الحسبانُ ابتعاد أي شخص ما ، عنك بسبب اهتمامٍ قدمته، أو ودٍّ افرغته.

وإن قَدِمَ إليكَ أحدٌ بخطوةٍ واحدة قابله بنصفها، وإن ابتعد ميلاً واحداً ابتعد عشرات الأميال،

كاذبٌ من قال أننا حين نتَمَّلك الأشياء نزدادُ بها حباً.

ومع مرورَ الزمن حلَّ عليَّ مساء،

اشتاق لها مع كل صوت قطرة مطر، وغزيرةٌ كانت أمطارُ السماء.

كتبت لها رسالة شاكياً لها نفسها، ومعاتباً إياها.

<u>مِنْ مُصْطَفَى إِلَى مَنْ أَحَبَّ</u>

كانت آخر رسالة الساعة الثانية بعد منتصف ليل شتوي بارد،

الرسالة الأولى بعد فراقِ ثلاثةِ أعوام،

وقطرات المطر تبعثر الحنين بمهجتي.

كتبتُ :

من مصطفى إلى من أحب،

أما وبعد،

سلامٌ على من قابلَ الودَّ بالجفاء ، ومال في عهدٍ قد قطعه،

ولأنني أعلم بأنَّ سلامي سيبقى بظرفٍ في إحدى الخزائن، فعلى قلبيَّ السلام.

أكتب لكِ في هذه اللحظات، وأنا أعلم بأن النوم قد طغى على جسدك بجانب

ذاك اللصَّ الذي وهبه القدرَ الحقَ في سلبِ أمانيَّ.

اعلمي ياسيدتي،

،أنه لا كلام أصدق من كلام الليل، ولايزالُ لكِ من ليلي حظوة.

إنني - والله - صارعت ذاتي، وجُلَّ من حولي، لأكون بجانبك في مثلِ هذه

اللحظات،

ومؤسفٌ أن أراكِ في صفوفِ من حاربتُهم لأجلكِ دونَ حولٍ منكِ أو قوة .

اشتقتُ لتلك الصخرةِ القاسية بين ضلوعك، كشوق العقيم والثكلى لرؤية طفلها.

فذاكَ الاثنين، وأنا ثالثهم نعلم أن مانرغب به لن يعود، لكن كما طغى النوم على جسدك في هذه اللحظات فاضَ بيَّ الحنين .

خَرِيفُ وَطَنٍ

ذِكْرَيَاتُ حَيِّنَا

يبتهجُ المُقامَ بقاطنه،

وفي بعده تنقضي البهجُ.

صغيرا مع ابن الجار الهو فرِحاً،

لا يسود بيننا بغضاء، لا يعمُ بيننا الحقد.

أمانيَّ والدي بناء مستقبلنا،

ووالدتي على أنغام تلك الأماني تشدو.

ياسمينةُ الحي بين الأزقةِ تمشي بحياءٍ،

وكل منزلٍ مرت بجواره فاح به العبق.

ومعلمي شمعةٌ تحرق نفسها لإنارة دربي،

في مديحه لاتكفيه حروف، ولاتصفه جمل.

وسعادةٌ كست أفئدة الناس لا لخصام، لا لفراق

لاينطفأُ مصباحُ الأمل،

في منازلٍ عشنا معهم سنين قصيرة،

وهم عاشو بها سنيناً طويلة الأمد.

-لا شيء يبقى على حاله في دنيانا، واليوم الذي ذهب لم يعد يأتي.

فستبقى الطفولة ذكريات جميلة نسترجعها،

حتى وإن انحنت ظهورنا، أو جعَّد الجلد.

تَبَدُلُ الحَالِ

طبول الحرب قرعت،

وأصبحت الناسُ فصائلاً وكتلا.

ابن الجار غدا قتيلاً بقصف طائرة،

وأخي قُتل برصاصة الغدر والبغضِ.

وياسمينة الحي هزؤوا بعطرها،

ولتعريتها صاغوا مجلاتً، ورسموا الخطط.

ومعلمي على الرَّف وضع جانبا،

فأضحى كقطعة حديد تأكها الصدأ.

والسعادة التي كنا نتغنى بها بُدلت،

والمنازل التي احتوتنا هدمت،

ولاسبيل لعيش الرغدُ.

فمنا من أصبح تحت الخيام ذليلا،

ومنا من أرضه قد ابتعد.

لم يفتح لنا بابه أحد، سوى بحرٍ ونفق

والنفق كان مظلماً،

وموج البحر كان طاغياَ،

والبحر ابتلع الجسد.

فمالي إلا أن خاطبتُ البحر بهذه الكلمات ،

أَيُّهَا البَحْرُ

أيُّها البحر، ما أشدَّ ظلمكَ ، وما أشدَّ البأسِ فيكَ ، وماأطغاكَ.

كيف ابتلعتَ أجسادهم؟

كيف قتلتهم دون دماء!

إنهم إنسٌ ركبوا موجكَ جياعاً،

وخوفاً من أيامٍ في وطنهم،

باتت سوداء حالكات

مافرقت بين رضيعٍ، ولا مسنٍ،

ولارجلٍ قوياً، ولا نسوة ضعيفات.

كم من مهجة أمٍّ قد احرقت بمائكَ،

كم من مقلةِ أبٍ سيَّلتَ فيها الدمعات.

أَمَا ردعتك إنسانيتك،

أَمَا هدأت غضبكَ مآذنُ الأرض،

وصدى صوتها في السماء.

هم سوريينَ أخرجهم ظلَّامٌ من ديارهم،

فأصبحتَ أنتَ والظُّلامُ في إخاء.

بالله عليكَ كيف لم ترأفَ بحالهم،

ألم يشبعَ أديمكَ من الأجسادِ والأشلاء.

و أَما عن حال الخيام

قصفٌ وانفجارات، ألغامٌ ومفخخات، لعبة البوبجي ومنظماتٌ لتمكين النساء،

وكلماتٌ كثيرة من هذا الهراء.

هدفهم بها واحد،

يسيروا به لينزعوا من أفئدتنا الإلفةُ والصفاء.

هجرنا الدارَ قسراً،

بعدَ أن رويناها بالدَّم، وكان العطاء سخاء.

سقف بيتي أصبح عازلاً، لايقيني حر صيف، ولا يمنعُ عني برد الشتاء.،

وجارتنا الثكلى لاسقف لها سوى سقفَ السماء.

أنا في الغطاء متلحفٌ،

وأرملةُ حيِّنا رقدَ أيتامها دون غطاء.

ولكل عربي وعجمي لم يسمع بحالنا ، ولم يرى،

فإنني أخاطبك بهذا النداء.

نِدَاءٌ لَكُمْ

في ظلِّ بغضاءٍ وإخاء، وتأوهٍ ورجاء، وسرورٍ واستياء،

كانت تجري أيامنا ببراءة ونقاء.

الحب موجودٌ كما الكره حاضر، والأملُ ألمٌ إن لم يُهلَ بالبشائر.

والآن، طرقَ الجحيم بابنا طرقاً، وهدمت الحرب دارنا هدماً، وفَتتنا الشجى فتاً،

ولا مصيرَ للبقاء.

شقاءٌ لايَفلُ، وأنينٌ لايهدأ، وقسوةٌ في المهجةِ لاتلين ولاتضجع.

من أشقى مسكنٍ في الدنيا أناديكم، فهل من مُنْصِتٍ ؟

من تحت شعاعِ الشمس، وصقيع الشتاء أرددُ النداء، فهل من مجيب؟

مابالَ آذانكم صُمت، ومالعيونكم كُفت !!!

أين إنسانيتكم وطفلي يشكو السغب، والسلاسل في يدان اباه مقيداً.

القصورُ بنيت كَنفَ الخيام،

وما ولوه أمري يقهقه على فوز منتخبِ كرة القدم.

وحرَّةٌ قصت جديلتها من أجل البقاء،

وعاهرةٌ مزقت ثوبها، ونسيت ماهو الحياء.

فإن كانت الحرية هي الحقد والشقاء ، والجوع والعراء، والعهر مع النساء، فإليَّ بمعتقلي، فإني به من السعداء.

لَا أَعْلَمْ

هل يجدر بنا البقاءُ في وطنٍ نشكو طائراته التي هدمت منازلنا، وجنوده الذين تفننوا في قتلنا،

ورصاص بنادق من ادَّعوا أنَّهم وُجدوا للدفاع عنا ضدَّهم،

أم نركب سُفن البحر ونغرق،

أو نهرب فوق جدران الوطن، وبرصاص حرس الحدود نقتل،

أو نحلق في طائرة، نصل فيها إلى دولٍ تختطف أطفالنا،

وتُعَرِي نسائنا بأثمن الثياب.

أيُّ قوةً يتمتعون بها أولئك الذين أعلنوا علينا الحرب...!؟

فبالصواريخ استطاعتوا هدم المنازل، وبرصاصهم استطاعوا اختراق الأجساد،

لكن بأي سلاح استطاعوا هدم قيمنا، وقتل أحلامنا ؟

كيف سلبوا كرامتنا ؟

لم نعد نريد القدس، و لا نريد تحرير الجولان

نريدُ أن نكسوا نسائنا، ونطعم أطفالنا، ونزوج شبابنا.

إننا الموطن الوحيد الذي تتحول به الحقوق إلى أمنيات صعبة المنال.

أُجبرنا على حمل السلاح، ووضعنا سبابتنا على الزناد،

لكن من سنقاتل، ومن أين نبدأ....!؟

أنبدأ بمن يتظاهر بأنه يطعم اطفالي ؟

أم بمن يسلب لهم الغذاء.....؟

بمن يتظاهر بأنه يحمي خيمتي،

أم بمن هجَّرني إليها ؟

فهل سمعت بعدوين هدفهما واحد....!؟

ياساحة الحرب اهدئي،

ونيران غضبك أخمدي،

فحطام منزلي خلف التلال،

يفصلني عنه ساترٌ ،

والوصول إليه محال.

وقاسيون دمشق يناديني،

يشكو لي ظلم ليالٍ طوال.

والحسكة سُلب نفطها،

والرقة نفد قمحها،

ولم يجدوا للجرح ضماد.

ألقوا صواريخ آخر طائرة على جسدي وتوقفوا،

وأفرغوا رصاص بنادقكم في صدري

فتوقفوا،

وارموني في اليم، بعد أن تحلقوا بي إلى أعالي السماء

وتوقفوا،

فإننا سئمنا الدماء.

قَصَصٌ قَصِيرَةٌ

- تِلْكَ الجَدِيلَة
- أَبٌّ لِمَنْ أَبَاهُ قَدْ رَحَلَ
- زِينَةُ القَنَاعَةِ
- الحَيَاةُ بِقَلْبِ طِفْلٍ
- إمرأةٌ شُطِرَتْ نِصْفَين

تِلْكَ الجَدِيلَةَ

على رصيف الانتظار، وجدت أنثى يظهر أنها في العقد الرابع من العمر، تكسو جسدها ملابس خُيط التمزق بها.

جَلَسَت بجانب الكرسي على الرصيف، وكانت ناظريَّ في دوام النظر إليها،

فدار سؤالٌ في ذهني !

لماذا لم تجلس على المقعد !؟

حثني فضولي أن اذهب واسألها،

فاقتربتُ منها، وألقيت عليها السلام رغم أنف دستور العادات والتقاليد، الذي نصَّ في قانونه الأول، لايحق لرجلٍ أن يُكلمَ أنثى لايعرفها، فلملمت قدميها من فوق حجارة الرصيف، ووقفت بعد أن ردَّت عليَّ السلام،

وقالت: تفضل.

فقلت لها : قد لفتني جلوسك بجانب المقعد، بالرغم من أنه متاحٌ للجميع.

فنظرت إلى الأسفل، وكأنها تحدق بشيءٍ ما،

فظننت أنها لم تسمع جيداً، فكررت سؤالي،

فقالت : ياسيدي، إن هذا المكان ليس مكاني، ولم يُخلق لمن هم مثلي، نظرتُ إلى فخامته فأدركت بأنَّه صنع لأصحاب البال الفارغ من هموم ومصاعب الحياة، وإن راودتني نفسي وجلست عليه، سأشعر براحةٍ فقدتها منذ سنوات، فأتعطل عن عملي، وأتوقف عما أبحث عنه، فاخترتُ الجلوس على الأرض لأنني شعرت بأن مثل هذه الأماكن تليق بي.

فارتفع وجهها ، وأصبحت ناظريها أمام ناظريَّ،

فتعمدتُ إطالة النظر في تلك العينين المشبعةُ في الدمعات،

كأنهما يوحيانِ لي بقصة ألمٍ مخفيةً، إن ظهرت ستبكي لها حتى السماء.

فقالت لي: عفواً، هل هناك شيء ياسيدي؟

فأجبتها : نعم، إن العيون تخفي حكاية، مقدمتها الملابس التي ترتدينها، فهل لي أن أقرأها ؟

كأنها كانت تريد أحداً تحكي له مراً قد عاشته، فَتَنهدَت تنهيدةً طويلة، وفتحت غلاف قلبها، وبدأت تظهر لي الأحداث.

فقالت : قُدِرَ لي أن أكون مع امرأةٍ عجوز، كتب الله لها أن تكون طريحة الفراش، بعد أن ضرب السرطان جسدها، والأب من هذه الدنيا قد رحل، وإخوتي في أحضان زواجتهم بعيداً عنا قد طاب لهم المقام، فلا منهم سائل عن حالها، والهتهم الدنيا عن وصالها، وعن الذين ربوهم وهم في المهد .

ثم وضعت يداها على عيناها، وتوقفت عن الكلام .

بدأت الدمعات التي كانت تقف على أهدابها في السقوط، حتى أنها لم تعد تستطيعُ إيقافها.

أيُّ خريفٍ قد حلَّ على قلبها !

فقلت لها : إن في البوح راحةً لكِ، فزيدي لي بفتح الصفحات.

فقالت لي : لا أعلم كيف يستطيع المرء أن يتخلى عن الذين أُخرجَ من صُلبهم.

أما أنا فقد كساني الزمنُ بثوب الجواري كما ترى، لا أشكيكَ أمي، بل أشكو لكَ مافعلت بنا الحياة.

كان هذا الكلام لو ألقيَّ على صخرةٍ لفتتها فتاً، فاستندتُ على زاوية الكرسي لا أعلم ما أقول ، ولا أدري ماذا سأفعل.

فقلت لها : تباً للسرطان ما أقبحه، كيف استطاع أن يعبث بذاك الجسد الذي كتب له أن تكون الجنة تحت قدميه ؟

- ياسيدي، إن السرطان استقر في جسد، وتلقى وجعه روحاً وجسداً غيره، فأمي هي المصابة، وأنا من اتلقى الوجع، فرحمةُ ربي شائت أن تفقد ذاكرتها و أن تُفصل عن الجسد.

كل ليلة أنظر لها على أنها راحلةً عني، والآن لم يبقَ من أثرها سوى الجسد، أقبله كلَّ ليلة قبلةَ مودعٍ، فأنا مدركةً بأنه لا شفاء من هذا المرض، وكان

السرطان قد بدأ براسها، ثم امتد على ماتبقى من الجسد، لكن عندما تنتطق تقول دون وعي محمد، أحمد...

-فقاطعتها ، وسألتها، هل تعرفي من تقصد بهم ؟

-إنهم جاؤوا بعدي من رحمٍ قد خرجت منه، وكانوا في أحضانها يتمتعون بالنعم، فألهاهم حب نسائهم وابتعدوا عنها.

كانت قبل أن تصارع السرطان، وتستسلم له، تشكو انهار مقلتيها التي جفت شوقاً لهم، وهم في سكرة عنها.

فسألتها مجدداً، وهل يعلموا بأن المرض احتل جسد أمك ؟

- لا هم لا يعلمون عن حالنا شيئاً منذ ثلاث سنوات، و لا نعلم إلى أيِّ مكان شدوا الرحال.

فقلت لها أولا تبحثون عنهم؟

-أما الأب، فبحث عنهم ولم يجدهم، ثم رحل لدار الفناء، وأما الأم فهي لجوار أبي ذاهبةٌ، وأما أنا فجئت بعد أن أرشدني عابرٌ بأنهم في هذه المدينة، فأردت أن أجدهم، فلا أريد أن يظلوا في سقمٍ وشقاء، ولا أدري إن كان لهم نصيبٌ أن يروا تلك العجوز قبل رحيلها تتلفظ بأسمائهم.

وما إن مرَّ أحد العابرين فنظر نحونا، وأطال في النظرات.

فاقترب منا، وبقربه ازدادت تلك الفتاة من الدمعات دمعات !

وقال لها بعد أن صافحها وقبلها، مالذي أتى بكِ إلى هنا، ولماذا يظهر عليكِ كل هذا الشقاء؟

ماحال أبي و أمي؟

أجيبي وكفي عن البكاء ؟

فسألني هل أنت زوجها أم غريب؟

فوقَعَت الفتاةُ على الأرض، وبدأ أحمد بذرف الدمعات.

فقالت له : إن حب النساء أغواكَ عن أنثى ولدتك، وإن حبَّ المالَ كَبركَ على من رفعك، وأبوك من الدنيا قد رحل، ولم يبقَ له أمنيةً سوى رؤيتك أنت وأخوك.

وأمك في حالٍ يرثى له، فقد أصابها مرضٌ ليس منه شفاء.

و أنا في كل يومٍ أبحثُ عنكم، ولا أجد لكم أثراً ، فأرسل بمن يأتي بمحمد وامضوا معي، فقاربت أمك على إنهاء آخر اللحظات.

استأذنتهم بالذهاب معهم، وأردت أن أشاركم حزنهم، فحضر محمد، ثم وصلنا البيتَ، وفتحنا الأبواب.

وجدوا أمهم مغلقةً لجفنيها، فانحنى الأخوان على قدميها، وبدأا بتقبيلهما، وارتفع صوتُ العويلِ والبكاء.

ينتظران أن تفتح عينيها، فعسى برؤيتها لهم تعود لها الحياة.

أغلقَ الجفن، ولم يعد يفتح، ولم يعد لها فسحة في البقاء.

فأحضروا الطبيب، فلما وصل قال لله البقاء ، فلم يعد ندمهم يجدي نفعاً، ولم تعد لهم بركةً في الحياة.

فقالت لهم تلك الفتاة : إنها أخبرتني ذات يوم بأنها قد تركت لكم وصيةً، ووضعتها في الصندوق الخشبي، وطلبت مني ألا أفتحها إلا بعد أن ترحل، وعاهدتها بذلك.

فتهافتا بفتح الصندوق، فوجدا جديلةً من الشعر، يختلط لونها بالبياض والاحمرار.

ورسالةً محتواها، إلى من حُمِّدوا،

لقد ضعفتُ وشخت ، وشارفت على الرحيل، دعوتكم ولم أجدكم، فكتبتُ لكم هذه الكلمات.

لاتظنَّ أنني غير راضيةً عنكم، فلا تقسوا من هي مثال للرحمة.

ولداي، أما أنا فقد كنت أصارع السرطان في آخر أيامي، وبعد أن اكتشفتُ بأنه قاتلٌ، أردتُ رؤيتكم قبل أن أرحل، لأنكم ستصحون ذات يومٍ من غفلتكم.

لقد بدأ شعر رأسي بالسقوط، فطلبتُ من مؤنستكم التي لم تذرني يوماً بمفردي أن تجدلهُ لي، وعندما انتهت قصصتُ تلك الجديلة، ووضعتها في الصندوق هديةً لكم، فلم يبقَ لدي مالٌ أهديكم إياهُ ولا جاهً أهبكم.

إني راضيةً عنكم فلا تحزنوا، لكن استودع سناء في ودائع الله، ثم ودائعكم ، فاحسنوا صونها فلم يبقَ لها أحدٌ سواكم، ودعوةً لمن رباكم تكفروا بها خطايانا، والختام سلام.

أمكم الراحلة

أَبٌّ لِمَنْ أَبَاهُ قَدْ رَحَلَ

هناك ذكريات مهما كانت لا يمكن محوها، فهي تعتصر روحنا لتأخذ منها حيزاً لا ننساه ماحيينا.

كنت دائماً أخرج للجلوس خارج منزلي، الذي مكثت به بعد وصولي، ودائماً أخرج للجلوس في فسحته، حيث الهواء الطلق، والشمس المشرفة على المغيب.

لكن هناك موقفٌ حصل معي، عندما خرجت ذات يوم لأجلس على الطاولة التي اعتدت جلوسها في مثل هذا الوقت.

نهضتُ لأتجول قليلاً ، ثم وقفت على الباب الخارجي للمنزل، فوجدتُ هرةً كبيرة، ومعها ثلاثة هريرات صغيرات، يبدوا بأنهم صغارها، هي تمشي وهم يلحقون بها.

كان هذا اللطفُ كافياً لرسم الابتسامة على وجهي.

أصبحتُ كلَّ يومٍ أراقب مسيرهم، وأشفي تعبي برؤيته، فأنا محبٌّ للمخلوقات اللطيفة، والرقيقة.

حتى حلَّ ذلك اليوم الذي طالتهم يد غدر البشر، فأُطلقت رصاصةٌ من بندقية أحد الصيادين باتجاههم، وأنا واقف على زاوية الباب أنظر إليهم.

ماتت الهرة الكبيرة، ومات معها هرير واحد، وهرب الصغير الثاني في الفلا إلى حيث لايعرف كيف يعود، أما الثالث، فهرب عدة أمتار، ثم عاد ووقف بجانب أمه التي خرجت روحها من جسدها بجانب صغيرها الذي قُتل معها.

نظر ذلك الصغير نحوي، كأنه كان يطلب مني المساعدة ، أو ربما يشكو لي قسوة مهجةِ ذلك الصياد، الذي فجعه بأمه وأخيه.

تمنيت أن أكون سليمان لأُوَاسِيَّ ذاك الهر المسكين، فاقتربت منه ، وكلَّما اقتربت منه ابتعد عني.

ربما يظن بأن كل البشر يُضمرون له الحقد والغدر، فاتخذتُ قراري على أن أجلب هذا القط وأعتني به.

خرجت إلى تلك الطاولة التي أجلس عليها كل عصرٍ، أحمل معي وعاء في داخله لبنٌ، والهر الصغير بعيدٌ عني بضعة أمتار.

وضعت الوعاء على الطاولة، وأمسكت رغيف الخبز وهو ينظر إليَّ من بعيد، فلم أستطع أن أضعها في فمي وذلك الهر الجائع ينظر إلي، فندهت له واشرت له بيدي تعال، تعال.

ربما ظن أن كلامي تهديداً له، وربما وجد بيّ الإحسان، فهو لايفهم كلامي، كما أنني لا أفهم كلامه، لكنني أشعر بما يدور في داخله، وأظن بأنه يشعر ما بداخلي أيضاً.

فاقتربت منه حاملاً معي وعاء اللبن، لكنه لم يفر مني، كأنه كان يخاطبني، اطعمني وإن أردت قتلي فافعل.

وضعت يدي بلطفٍ عليه، ثم مسحت بها على رأسه الصغير،كان يتيماً كالأطفال الصغار، وأنا أردت أن أشعره بحنانٍ غيرَ حنانِ والدته التي رحلت.

لكنِّي أيضاً أشعر بالسعادة، عندما أحسست أن ذلك الهر سعيد بسبب لمساتِ يدي له، فجميل جبر الخواطر حتى وإن كان خاطر هرير صغير.

وضعت له قليلاً من اللبن على كسرة خبز، فلم يعرف كيف سيأكل، لكنه ينظر إليها يشكو الجوع، ففتحت فكيه بيدي، وبدأت أسكب له القليل من اللبن داخلهما حتى يمضغه.

ما أرقَّ ذلك الهر المسكين وما الطفه!

وفي اليوم الثاني، خرجت فوجدته في المكان نفسه الذي اطعمته به ، وعندما رآني بدأ يموي لي بصوت ناعم، كأنه كان يخاطبني بخطابٍ محتواه، لقد جعت مجدداً فأطعمني.

دخلت إلى غرفتي، وأحضرتُ وعاء اللبن ، ثم خرجت وجلست على الطاولة، وأشرت له بيدي، وقلت له هرهور تقدم للأكل.

سار نحوي وتوقف على بعد مترٍ مني ، فحملته ووضعته على الكرسي المجاور لي، وأطعمته كالعادة فهو لا يعرف كيف سيأكل، وبعد أن انتهى من الطعام ظلَّ جالساً بكل أدبٍ في جواري، وبالصدفة مرَّ صرصور من أمامه، فنزل من على الكرسي نحو هذا المخلوق الذي ربما لأول مرة يشاهده، وبدأ بمداعبته في يده حتى قسى عليه بضربة كاد أن يقتلهُ بها، فحملته وأعدته إلى الكرسي كي يعلم منذ صغره بأن القتل والضرب شر لا يليق به ، ثم نفخت على الصرصور حتى هرب من أمامه.

فأنا أردت أن أعتني بذلك الهر الذي اسميته هرهور، و لا أريد أن تنغرس مخالبه بدماء ذلك الصرصور كما انغرست رصاصة الصياد في جسد أمه وشقيقه.

فقلت له : هرهور إياكَ والشر، لا تكن إنساناً.

لكنَّه كان ينظر نحو الصرصور الهارب تارة، ونحوي تارة أخرى كأنه يقول لي إن تركته حياً سيقتله قطٌ غيري، فخاطبته مجدداً رغم إدراكي التام بأنه لا يعي ما أقول.

دع موته يتحقق بمخالب قطٍ غيرك و لا تحمل همَّ الغذاء، فأصبح مسؤوليتي.

وبعد أيام من الطعام والشراب نضج قليلاً، وصار يأتي إلى الطاولة دون دعوة مني، يأكل ثم يذهب، لكن لا أعلم إلى أي مكان يذهب إليه.

فاتخذت قراراً أن أبني له منزلاً بالورق المقوى في غرفتي، وبدأت بتنفيذه، وبعد أن انتهيت اصطحبته معي إلى غرفتي، وفاجئته بالمنزل الذي صنعته له بعد أن كان ينام تحت آليةٍ معطلة عن العمل.

فأصبح القط يلهو في تلك الغرفة ويمرح، وشعرت حينها بأنه بدأ ينسى بعضاً من آلامه التي خلفها رحيل والدته عنه.

وعند حلول وقت الطعام يجلس على مائدتي، فأخشى أن أبعده فأنغصه، وفي الوقت ذاته أخشى أن يصيبني مرضٌ بسببه، فاخترت المرض إن وجد على ألا يتنغص، وخشيت سؤال الله لي عنه إذا لم أطعمه.

ربما استودعته أمه في ودائع الله قبل أن ترحل حتى تعلقت به وأحببته إلى هذا الحد، فكانت حواسي وجوارحي تكلمني وتقول لي إن هذا الهر لم يحظى بحنان والدته كبقية الهرر، فيجب أن تبذل الغالي والنفيس من أجل ألا يشعر بغيابه.

وضعته الليلة الأولى في منزله حتى رقد، وخلدت إلى النوم في فراشي بعده، فاعتاد بعدها النوم من تلقاء نفسه في منزله.

مضت الأيام وبينما كنت نائماً استيقظت بعد منتصف الليل، فوجدته نائما على وسادتي، فلمسته بيدي كي يستيقظ وندهت له هرهور استيقظ، لكن كان نومه ثقيلاً بعض الشيء فلم يشعر، فأوقفتني رقة قلبي عن إيقاظه، ثم وضعت وسادةً بعيدةً عنه وخلدت إلى النوم، وعندما استيقظت صباحاً وجدته نائماً على الوسادة التي نمت عليها مؤخراً.

لا أدري !

هل كان خائفاً يستنجد بي، أم أنه يشعر بالحنان والأمان إلى جانبي؟

مضت الأيام، وكَبُرَ هذا القط بعد أن ترعرع في كنفي، واعتاد انتظاري عند عودتي من العمل، ليحصل على قطعة الشوكولا الذي اعتاد أن اعطيه إياها بعد عودتي.

كان يخاف الماء بعد أن حممته ذات يومٍ مرغماً، فأصبح يهرب كل ما إن اقتربت من صنبور المياه.

أصبح هذا الهر مؤنساً لوحدي وصديق ليلي، وأغلى مابقلبي، ومن كثرة حبي له أفرطتُ في زرع البراءة في داخله.

حتى ذات يوم بائس، ذهب إلى جوارِ كلبٍ جارح عندما كان يأكل، فأراد هرهور مشاركته في الطعام، لأنه كان جائعاً وأنا تأخرت في عملي هذا اليوم.

وصلت إلى جوار منزلي، نظرت من بعيد فوجدته يتجه نحو ذلك الكلب فصرخت له، وسارعت في المشيّ نحوه كي أُبعده قبل أن يحوله الكلب إلى أشلاء بين فكيه، فلم أصل في الوقت المناسب فكشف الكلب عن نابه، ولحق به، وأثناء هروب هرهور تحطمت جمجمته تحت إطار سيارة أحد المارّة.

لقد كتب عليه كما كتب على أمه من قبل، لكن بسببٍ غير السبب الذي ماتت به أمه وشقيقه، لكني بعد فقده تبدل ربيعي إلى خريف، فلم أستطع إخفاء

الدمعات على فراقه وعندما وصلت غرفتي وجدت منزله، فخاطبت المنزل قائلا:

لقد رحل ساكنك، ربما كان قدره هو من قتله، وربما كان إفراطي في زرع البراءة في داخله، حتى ظنَّ أن الكلب صديقاً حميماً ، وعندما أراد الذهاب إلى جواره تفاجأ بنباحه، وخاف من أنيابه، وهرب من موتٍ قاسٍ على يد عدوٍ جارح إلى موتٍ رحيم تحت إطار السيارة.

إن أجمل مافي ذلك الحب أنه بُني على الرحمة والإنسانية، وتحسسته في عاطفتي، فشعرت بإنسانيتي، ودفء روحي المهلكة التي عانت القسوة في كل شيء، فاعتادت المآسي لكنها اشرقت من جديد عندما تلمست عذوبة أحاسيسي النابضة، ورقة مشاعري الجياشة حتى في تلك التفاصيل الصغيرة.

لكنه رحل .

زِينَةُ القَنَاعَةِ

دعا فقيرٌ رجل أعمالٍ وحاكماً ليلتقي معهم على طاولةٍ واحدة في إحدى الأماكن العامة عن طريق الإعلام، فعندما حان الآوان أرسل الحاكم بمن يأتي بالفقير بغتةٌ كي ينهوا اللقاء قبل أن تسلط كميراتُ الإعلام عليهم.

حضر الحاكم، ووقف خلفه عشرات الجنود، يظهر أنهم مرافقته، وحضر رجل الأعمال الغني، وأثنى يديه على الطاولة، وأسند رأسه على كفيه، يُظهر رسالته التي لم ينطق منها حرقاً واحداً، أنا متعب.

وحضر الفقير بنعلٍ مهترءٍ، وملابسَ بالية ووضع يده على الطاولة.

قال له الحاكم : لما دعوتنا أيها الفقير، فلولا خوفي من وصول الإعلام الآن لوضعتك خلف قضبان الحديد مقيداً، ولا تظن أنني راغبٌ برؤيتك ، فلولا أن يكتبوا بجرائدهم أننا ضدَّ الفقراء ، ويراه شعبي فيطالب بإسقاطي لما حضرت أبداً.

أما عن رجل الأعمال فأمسك هاتفاً بيدٍ وأخرج دفتراً من محفظته، وأمسك قلماً بيدٍ أخرى ، ويتكلم عبر الهاتف، فيصرخ تارة ، ويواسي تارة

فقال الفقير لهم : هل لي بأمنية تحققانها لي؟

فقال له رجل الأعمال : نعم دون أي جدال، فقط عليكَ أن تسرع، و قال له الحاكم بصوت خافت نعم لكن بشرط.

- ماهو ياسيدي؟

- أن تمنع كميرات الإعلام بأسلوبك من التصوير

فردَّ الفقير : لك ذلك، على أن تجيب على أسألتي بصدق بعدها

فقال الحاكم : لك طلبك

استطاع الفقير أن يبعد وسائل الإعلام بعد أن وصلت إلى المكان، ثم عاد وجلس على الطاولة

وسأل الحاكم :

لماذا كل هؤلاء الجند من حولك، أتخاف؟

فأجابه، بدونهم لا أستطيع أن أذهب حتى إلى الخلاء، ورغم كل ذلك أخاف، أخاف من أن تبدل أحدهم الأقدار فيضع رصاصةً في جسدي أعطيته إياها لحمايتي

- وهل يجرأ أحدٌ على هذا....؟

فتلفتَ يميناً ويساراً وقال : إنني من البشر، والظلم موجود عندي أكثر من العدل، فأخاف أن أجرح كرامة أحدهم فلا يعد يهمه بقاءٌ ولانجاةٌ بعد دفن جسدي

- مالك مرتبك؟

قبل أن أصل إلى الحكم لا أخاف من شيء، و لا يعكر صفوي أي شيء، أما الآن فقد أصبحت محطاً للأنظار، وهدفاً للبغاة، وأخاف أن أخطأ بكلمة فأصبح بين أفواه الناس للجدال

و ما أخافه هذه اللحظات أن يعلم مبغضيني بجلوسي في هذا المكان، فتتسلل رصاصتهم من بين جندي فأغدو قتيلاً.

-أولهذا الحدِّ تتمسك بالحياة أيُّها الحاكم ؟

فقال : ليس من الموت فقط، أخاف أن اتنحى فلا أعود كما كنت، ولمن سأترك المال كله والجاه وقدره، وهذه القوة التي أتمتع بها بغيري؟

فردَّ عليه الفقير : إن المال عنك ذاهب، ولجاهك أنت ذات يوم فاقد، والقوة التي تتمتع بها في غيرك ستصبح لغيرك.

فقال الفقير له : شكراً على اتساع صدرك لسماعي، فقد أنهيتُ أسئلتي لك.

فقال الفقير بينه وبين نفسه : لقد ظننت أن السعادة في السلطة، فها أنا مخطأ.

فالتفت نحو رجل الأعمال وسألته، أانت أيضاً خائف؟

فأجابه بطريقةٌ يريد أن يفضفض بها، لا لست خائفاً لكنني أُوتيتُ المال وفقدتُ السعادة، فلا أدري بأي وقت سأجلس فيه مع نسوتي، وأداعب أطفالي، أو أن أسير في قضية ابنتي المطلقة.

وإنني أخشى طوال الوقت على زوال أموالي فلا أريد أن الراحة دون أن أتابع العمل، وأخشى أن أخرج قطعةً من النقود من جيبي، وإن خرجت أنظر إليها آلاف المرات قبل أن تصبح في جيب غيري.

لقد حلَّ عليَّ داءٌ لادواءَ له (مرض السكر)

وإنني على استعداد أن أضحي بكلِّ مالي لمن يبعده عني.

فانصدم الفقير ولم يعلم ماذا سيقول غير أنه دمدم وقال لقد أخطأت مجدداً

عندما ظننت أن السعادة بكثرة الأموال

فالحمدلله على ماوهبني الله إياه، والحمدلله أنني لست حاكماً أو غنيَّ مالٍ

" إن القوة في وجودك مع الله ، والغنى أن ترضى بماقسمه لك "

جلسنا ذات يوم أنا وإخوتي الثلاثة أمام شاشة التلفاز، ننتظر عرض مسلسل " فانوس علاء الدين "

ووالدتي تريد في مثل هذا الوقت أن تشاهد برنامج "كيف تكوني سعيدة" الذي سيبدأ عرضه هذا اليوم، فتمكنتْ من قلب القناة على برنامجها.

سخطنا لقرار أمي الذي اعتبرناه تعسفياً ، فأردنا أن نذهب ونلهوا مع أبناء الحي بين الأزقة والشوارع دون أن نستأذنها، وليس من المعتاد أن نخرج دون إذنٍ منها أو من أبي.

مضت ساعة على خروجنا من المنزل، وإذا بأحد المارّة قال لنا إن والدتكم تبحث عنكم بين الأزقة، وما إن انتهى من كلامه فبدأت أجسادنا بالارتجاف واتجهنا نحو منزل جدي كي يكون محامياً للدفاع عنا، لكن فات الأوان، وأمسكت بنا أمي قبل أن نصلَ، فاصطحبتنا معها إلى المنزل كما يصطحب رجال الشرطة المخالفين ، وفي منتصف الطريق تقول لنا ذاك الكلام المخيف، سيبرحكم أبوكم ضرباً، وعند وصولنا بوابة المنزل كان والدي يحمل عصاً وينتظرنا ، وعندما رآنا مقيدين في سلاسل أمي، فضَّلَ أن ينتظرنا في الداخل.

لقد كنت بريئاً وعاقلاً لا أعصي كلام والدي، وأختي كانت كذلك أيضاً، لكن شقيقي الكبير هو صاحب فكرة التمرد ، كان شقياً بسبب الدلال المفرط من قِبَلِ أبي.

فأنا صمت بعد أن انتهى والدي من ضربي، وذهبت إلى الغرفة الثانية انتظر شقيقتي كي أخبرها بأن أبي لم يوجعني بالضرب.

وعندما وصلت استبقتني إلى هذا الكلام وكلانا نعلم بأننا نحن الاثنين نتألم من قوة اصتدام العصا على أيدينا، كأننا في لعبة محتواها، من يعترف بأن الضرب أوجعه فهو خاسر

وبعد انتهاء أبي من ضرب أخي الكبير، قال له أخي جملة بصوت عالٍ لازلت اذكرها "حتى وإن قمت بذبحي سأخرج للعلب مادمتم تمنعوني من مشاهدة علاء الدين".

صرفه والدي وقال له : اذهب إلى غرفة إخوتك، فلي حديثٌ مع أمكم

تظاهر بأنه ذاهب لكنه وقف خلف عتبة الباب للتنصت على كلامهما، وأنا وشقيقتي داخل الغرفة لا نجرأ أن نقطع متراً واحداً بعد باب غرفتنا، لكننا نراقبُ أخي ونعلم بأنه يتنصت لكلام والديَّ، وننتظره على أحر من الجمر كي ينتهي ويصل الغرفة حتى يحكي لنا ما دار من حديث.

كنت أملك ثلاثة برتقالات، وقطعة بسكويتٍ فخبأتهم في خزانتي الصغيرة، وأقفلت عليهم كي لاتطالهم يداه

فوصل إلى الغرفة، وبدأنا نتوسل له أن يقص علينا ماحصل.

فنظرَ لي بأطراف عينيه وقال لن أتكلم حتى تعطيني برتقالتين ونصف قطعة البسكويت.

ترددت كثيراً أن أُفرِّط في هذه الثروة، وبعد مفاوضات وتدخلات من قِبل أختي الكبيرة، دامت أكثر من نصف ساعة، قرر أن يتنازل فيكتفي ببرتقالة واحدة، ونصف قطعة البسكويت.

لكن بعد أن حصل على طلبه، قال لنا لن أتكلم أريد برتقالةً أخرى، وإلا سآخذ مابيدي وآكله دون أن أتكلم لكم، لديكم من الوقت خمس دقائق فكروا بها

وأنا أعدكم حين سأجد مصباح علاء الدين، سيكونُ لكم نصيب من الأموال والقصر الذي سأبنيه.

إنها السياسة التي لا دين لها، جعلني أعطيه برتقالةً أخرى دون أن أفكر بمُدة المهلة ، لكن اشترطتُ عليه أن يقسم لي بأنه سيتكلم بعدها، فوافق على هذا الطلب وأقسم لنا بذلك، فقال : لقد قام أبي بإخبار أمي أن تدعنا نشاهد فانوس علاء الدين، وقال لها أيضاً أن بقاءنا في المنزل أفضل من أن يلعبوا في الشارع، ويتعلموا عادات سيئة.

فقاطعناه الكلام بصيحاتنا نعم يحيا العدل، سنحقق حلمنا وسنبحث عن الفانوس، وسنجده كما وجده علاء الدين من قبلنا ، لكن سنشاهده حتى يقول للناس كيف بإمكانهم الحصول عليه.

حضرنا له حلقاتٍ عديدةً، وبينما انتهى بحثه أرسلنا شقيقي كي يبحث عنه بين الصخور، التي تبعد بضعة أمتارٍ عن منزلنا.

كان يذهب للبحث عنه كلَّ يوم، دون تعب أو كلل، ونحن نغطي له غيابه عن المنزل.

فذات يوم، حضر بعد نصف ساعة من البحث، مخبأً شيئاً ما وراء ظهره، فأمنَّا له دخول المنزل كي لا تراه والدتي متسخ الثياب.

فقال لنا أغلقوا عيناكم، فلقد أحضرت لكم مفاجأة

اغمضناها ثم عدَّ إلى الثلاثة وقال افتحوها

وإذا به يحضر دلةَّ قهوة عربية مهترأة بعض الشيء، فغمرتنا السعادة غمرا، ومن شدَّة فرحي أعطيته البرتقالة المخبأة، فوضعنا الدلةُ أمامنا وبدأنا بلمسه لأكثر من نصف ساعة على أمل أن يخرج المارد من جوفه، ويحقق لنا أمانينا.

لكن خُذلنا عندما لم يخرج لنا أحد.

مرت على هذه الحادثة خمسةَ عشر عاماً، فجلسنا مع والدتي وذكرناها بما حصل تلك الأيام، وعن خذلتنا بالقصة التي حكتها لنا ذات يوم على أمل أنها حقيقة، فبعد ذلك شاهدناها على التلفاز، وبحثنا عن الفانوس فوجدنا مايشبهه دون أن يخرج لنا من جوفه أحد.

فقالت لنا والدتي لقد استعملنا تلك الحيلة بداية كي تناموا وتحلموا بتلك القصة، ثم بعد أن كبرتم قليلاً عدنا للتحدث بها كي تهتموا بتلك البرامج في عطلتكم الصيفية، ولا تخرجوا للهو واللعبَ خارج المنزل.

فقلتُ لوالدتي ولوالدي، هناك أشياء أظن بأنها حيلٌ مثل فانوس علاء الدين لكنها تُستخدم لأن نبقى نياماً دائماً، ولا نفكر بالخروج أبداً من مكاننا ، وتنطوي علينا الآن، كالانتماء والمواطن مثلاً، فلم يدعني والدي أن أكمل الحديث.

أدركت حينها بأن الحياة لم تكن بتلك البساطة التي كنا نراها من زاوية الطفولة البريئة، ولن تكن.

لو عدنا للوراء قليلاً، ثم عدنا ونظرنا للحياةِ من الجانب الذي نحنُ به الآن، سنجدُ أن مصباحَ علاء الدين الذي كنّا نبحثُ عنه مراراً وتكراراً، ونأمل وجوده في إحدى أزقة الشوارع أو تحت ظل شجرةٍ لم يكن له أي أساس في الوجود.

كذلك المكنسةُ السحرية، والبِساط السحري، وكثيراً من القصص التي كنا نحلمُ ونسعى للوصول إليها

ومع نضجنا قليلاً نصتدم بالواقع الذي أخبرنا بأنه لا وجود لها، وأنها حيلةٌ كانت تستعمل كي لا نطيل اللهو واللعب خارج المنزل، ونخلد للنوم باكراً.

فتغير مجرى التفكيرَ والسعيَّ إلى أشياء نعتبرها الآن حقيقيةً لكن لا ندري بعد مرور الأعوام، هل هي حقاً حقيقيةً أم أنها ليست كذلك؟

أظنُ بأننا نعاني من الحيلةِ ذاتها التي وقعنا بها في الطفولة

إمرأة شطرت نصفين

إشتدَّ بيَّ الألمُ ذاتَ يوم حتى أُسعفتُ إلى إحدى المشافي البعيدة عن قريتنا، كان الألمَ شديداً فبتُّ يومان على إحدى أسِرَةِ المشفى، وغذائي هو السيروم

ولم يسمح كادر المشفى بأن يبيتَ معي أحداً في الغرفة.

استيقظتُ صباح اليوم الثالث، أشعرُ بتحسنٍ جيد، فعندما قَدُم الطبيب المشرف على مرضي أخبرته بذلك، فقال لي، هذا ماكنت اتوقعه، بإمكانك ان تذهب الان، او تنتظر حتى نُرسل لذويك لكي يأتو ويصتحبوك معهم.

فقلت له ان يخبرهم و خرجت إلى حديقة المشفى الصغيرة، ابحث عن كرسي اجلس عليه ريثما يصلوا، فاصتدفت بشاب اعتقدُ بأنه في الثلاثين من عمره، يظهر انها حلت غمامةً سوداء على قلبه، من شدة الحزن الذي يظهر على ملامحه.

توقفتُ عنده والقيتُ عليه السلام، وقلت له إن المقاعد ممتلأة، هل تسمح لي بالجلوس بجانبك؟

لم يرد على كلامي بحروف، فأشار برأسه نحو الاسفل، يقصد بها نعم.

شعرتُ بأنه بحاجةً لمن يواسيه، وكلمةٌ طيبة تشفى بها جراحه

فقلت له: بائسة تلك الحياة، ولادة ثم شباب ثم عجزٌ فالموت، انها قصيرة جداً خفف عنك، اتنتظر مريض؟

- نعم.

- ومن تنتظر؟

أطال صمته قليلاً ثم قال : أيها الغريب سأبوح لكَ بألامٍ تعتصرُ قلبي، وكلام يقف في حنجرتي، إن تركته زاد ألمي ، وأن بحثُ لقريبٍ سيلومني، وتكون العواقب محزنةً اكثر.

فالتفتُ نحوه وقلت له بح لي، إن كان في البوح راحةً لك

- إنني في مجتمع تحكمه عادات وتقاليدٌ غريبة، ومن قوانينه، لايحق لشاب ان يتزوج فتاةً سوى أن تكون من احد اقربائه، والفتاة ايضاً كذلك، فعندما بلغتُ التاسعة والعشرون من عمري تقدم والديَّ لخطبة ابنة عمي لي، وتم زفافنا، لكن منذ اليوم الأول في حياتي معها، شعرتُ بأنها جسد معي فقط

كانت منطفأةً تماما بعد هذا الزواج وماعهدتها سوى مرحةً ضاحكةً قبله

- مالذي اطفأها، ولماذا تبدل حالها بهذه السرعة، فأنا اعلم ان الفستان الأبيض حلم كل فتاة.

-إنني لاأشعر بغيرتها كباقي النساء، أرها دائمةُ الصمت لايغريها حضوري، ولايؤلمها غيابي، وأرى بها حُزناً لايفارقها.

- هل جربت ان تسألها عن السبب؟

- نعم، لقد قمت بذلك مراراً وتكراراً فتارةً تجيبُ باللاشيء، وأخرى تفضل الصمت.

ياسيدي إنَّ الأنثى، تحب الاهتمام والاعتناء بها، فهل انت مقصراً معها، او انك قاسٍ عليها ؟

- رقيقُ القلب انا، لاأقسو على إمرأةٍ قط، ولقد أصبح عمري ثلاثون عاماً وستةُ أشهرٍ، مضى عامٌ ونصف على زواجنا، فلا أذكر انه مرَّ ثلاثون يوما دونَ أن أهديها شيئاً ما، ولم اخرج يوماً من المنزل قبلَ أن أُقبلَ رأسها، وكل كلمة جميلة نطقتها لها، لكنني لاأشعر بحبها لي

- غريبٌ امركما، فلولا إن كانت لا تحبك لطلبت منك الطلاق، أو أنها لم ترضى بالزواج منك منذ البداية

-دعني اكمل.

حتى هذا اليوم تلقيتُ خبراً بأنها تعرضت لحادث سير اثناء ذهابها في زيارة إلى بيت أهلها، وتم نقلها إلى هذا المشفى، فحضرتُ مسرعاً إلى سريرها، وسألت الطبيب عن حالها، فقال : لقد تلقت صدمةً على رأسها، وتم وضعها الان تحت تأثير البنج لنخيط الجروح الخارجية لها.

انتظرتُ حتى انتهوا، فدخلتُ ووقفتُ فوق رأسها، فكانت تتكلم مابقلبها فقالت بحرقةٍ : ياسين اشتقتُ لك.

- جميلٌ هذا، اذاً هي تحمل لك حبا في قلبها ولاتظهره.

ضحك هذا المسكينُ من فرطِ الألم

فقال :لم يكن اسمي ياسين، انا اسمي خالدٌ .

تعجبتُ لماقاله وسألته هل تعرف من هو ياسين؟

- كل مااعرفه عنه سوى انه مكث في الديار بضعة أعوام ثم غادر ، وتقدم لخطبتها، فرفض أهلها، ربما كانت تحبه، وتنتظر على أمل أن يعود لخطبتها ويوافقوا أهلها.

- لماذا تزوجتك اذا؟

- قلت لك من قبل، في دستور عاداتنا وتقاليدنا لاقرارَ لإمرأة، فإنها أُجبرت على ذلك كي لايُطبق عليها حكم المخالفة، فتذبح كالخراف تحت مسميات كثيرة

لقد زوجوني جسداً دون قلبٍ وروح، كنت أشعر بهذا الشيء منذ البداية لكنني كنت لااعرف السبب، والان قد عرفته

- ومأأنت بفاعل؟

- مشفقاً على حالي وعلى حالها، فإن طلقتها بعد أن تُشفى، ربما قد يُفصل راسها عن جسدها، وإن ابقيتها شقيتُ وأشقيتها معي وهي ضعيفة لدرجة انها تكاد ان تختنق من أثر كلمة

أليس لديك نصيحة تفيدني بها؟

- اكرمها ولاتقص لأحد بمانطقت به سواها، صارحها به، وأعنها على تجاوزه، كن لها الصديق قبل الزوج، وانا اتكلمُ جاء الطبيب وقال له، البقاء لله، لقد حصل مع زوجتك نزيف مفاجأً في الدماغ وتوفت على اثره.

فذهب الرجل مع الطبيب مسرعا إلى غرفتها، وبقيت على المقعد اتآمل حال تلك الأنثى المسكينة

ربما كان موتها افضل من ان تبقى مشطورة إلى نصفين

جسدٌ وروح.

جسداً يتملكه زوجها، وروحا يتملكها من احبته، فكان الموت له ارحم من تلك الحياة

رَسَائِل

إن محاولة ترميم الواقع أفضل من الوقوف شاهداً على

مايحدث ، واخترت أن أكون برسائلي مرمماً:

- لِكُلِّ فَتَاةٍ
- لِكُلِّ مُتَرَدِّدٍ فِي السَيرِ عَلَى طَرِيقِ حُلُمِهِ
- لِكُلِّ شَابٍّ
- رِسَالَةٌ لَكَ
- لِكُلِّ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ الحُرِيَةَ فِي إِظْهَارِ الجَسَدِ
- لِكُلِّ سَفِيهٍ

لِكُلِّ فَتَاةٍ

اعلمي...

أن معظم الذكور ذئابٌ وليسوا برجال، فاحذري أن تكوني فريسةً لهم، واحذري

أن تكوني ضحيةَ المواقع والتواصلات.

واعلمي..

أن السفيه سيصنع من سفهه رجلاً مثالياً أمامك، وسيتودد لكِ بشتى الوسائل، وأقذر الألعاب.

إنهم لا يريدونك أنتِ بل يريدون جسدكِ، ويريدون إشباع اللذات، وما إن وصلوا مبتغاهم سينظرون لكِ على أنك عاهرةٌ لم تعرف يوماً ما هو الشرف، وماهو الحياء.

لاتصدقي ما تلفظه ألسنتهم من وعود ومن كلمات، فهل سمعتي بذئب صدق بوعده مع الشاة!

واعلمي...

أن الغرب جعلك أداةً لهدم المجتمع، ومن أجلك صنع المنظمات، كذَّبوا وقال بأنها تمكين وأنها لك من أجمل الحريات

أنت في زمن فتنٍ فاستيقظي قبل فوات الأوان، وهدم الأركان

لاتكوني عاهرة لمن تحبي، كوني زوجة، فأنت أغلى من أن تُتاحي للجميع.

من أراد وصولك سيجدك، بعد أن يطرق الباب ويستأذن الأهل ويجمع الأصحاب.

فإن كُتب لكِ عيش السعداء فتنعمي به

وإن كان لكِ نصيب الأشقياء فآمني بالقدر والقضاء.

لِكُلِّ مُتَرَدِّدٍ فِي السَيرِ عَلَى طَرِيقِ حُلُمِهِ

وأنتَ في طريق الوصولِ إلى القمةِ ••••

ستواجه صنفاً ساخراً، وصنفاً حاسداً، وصنفاً يحملون لكَ البغاء.

قليلون من يريدونك أن تصل، وقليلون من سيفتحوا لك الآفاق.

ستمشي على الجمرِ حافيا،وستصعد الجبال وتغور في الحفر، وقد تسقط على الأشواك.

فلا تدع هذه العوائق تحول بينك وبين القمة فإن أبطأت مسيرك أبهرها بسلاح الإرادة والإصرار، وكل ما إن تعثرت انهض إياك وأن ترفع راية الاستسلام.

ولا تدع حاقداً وجاهلاً يعبثا بإرادتك، فإنهم لن يكتفوا بإبقائك مكانك بل سيعودوا بك آلاف الخطوات.

سِرْ بدعائك لله و ما منحك أمك وأبوك من دعوات،

وتذكر بأن الأمانيَّ ليست سهلة المنال فلا تيأس وتتوقف، إما أن تصل وإما أن تصل ، فلا تخفْ إن تجرعت مرَّ السماء، إن مع الإرادة لا صعب ولا كلل.

بادر اليوم قبل غدٍ بتحقيق ما يدور في ذهنك من أفكارٍ، واطلب من الله أن يؤتيك القوة للسير على تحقيقها.

مجدداً، إياك والاحباط، لأن في الاحباط ستتحول أفكارك إلى سلاحٍ ضدك

وسيقيدك الزمن في صفوف الجهال.

لِكُلِّ شَابٍ

لقد كنت نطفة ثم جنيناً ، فتغذيت من أحشاء والدتك، فخرجت لهذه الدنيا رضيعاً تتغذي من ثدييها.

مرضت أنت وكان الوجع لأمك.

فكبرت ففي طريق الخير أرشدتك ، حتى نضج قوامك واشتدَّ ساعدك

وذاك الرجل العظيم حنت ظهره أثقال الحياة، وصبغ سواد شعره البياض، حتى يطعمك أنت وأمك ويكسيكم من حلي الثياب.

فابتر لسانك قبل أن يتفوه في كلمة عليهم، واكسر ساعدك إن اغرته شدته وطالهم في غير عناق، وأحسن احتوائهم بعد كبرهم وردَّ عنهم ماستطعتَ من شقاء الحياة.

اخفِ عنهم حزنك، وشاركهم فرحك قبل أن تتحسر على اليوم الذي تريد به أن تقبل رأس أحدهما أو يده و لا تجدهم.

وإخوة في الأرحام لا تخاصمهم من أجل مالٍ ، فالمالُ زائلٌ وأنت راحلٌ ولا تسمحَ للجدال أن يودي بكم إلى الخصام.

وشقيقات كالياسمين رقةً فصنهن، وكن كالشمعة أمامهن

إنهم نسوةٌ ضعيفات يستقوين بك، فلاتخذلهن ولاتسخطنَّ من العناء بهم.

وحسناءٌ صالحةٌ وجدت فيكَ صدقاً فلا تمهلها، و لا تفسدها

وآتي باب بيتها وصُنها، ثم في مدرسة الإحسان علمها وأكرمها

فإن فَعلتَ، نعمت بنعم لا تحول، وإن أعرضت فلك شقاءٌ لا يزول،

ولا تسخط إن رُزقتَ بمؤنسةٍ فإنها غالية كما وصفها الرسول

ولا تُفضل عليها ذكراً وأحسن تربيتهم فإنهم أثرٌ لكَ بعد أن تزول.

رِسَالَةٌ لَكَ

نبقى دائماً في مرحلة الطمع بأن نكون الأفضل والأرقى بجميع مجالات الحياة التي نمر بها

لكن لايحالفنا الحظ دائما في تحقيق كل مانتمنى

فمهما تقدمنا للأمام نجد هناك أشخاص جدو السير، ووصلو قبلنا نحو الهدف ونحو العُلا، وأصبحو افضل منا مكانةً،وارتفعوا علينا بدرجات.

لكن هذا الكلام لايعني بأننا الأسوء ، فكل فرد فينا بموضعه الآن، هناك من هو أفضل منه، وهناك من هو اسوء منه.

ولايجب الرضوخ والاستسلام والاعتقاد بأن ذاتك هو الأفضل والأرقى ، فهذا الاعتقاد يثبت لك بأنك عكس ذلك تماماً.

سر نحو الهدف ولاتلتفت للوراء، وحَكّم عقلك في الطريق الصحيح،

فلاتسمع كلام منتقداً في الاتجاه الذي تعتبره خاطئاً، لأن معظم المنتقدين تعثروا وفشلوا، وكل فاشلاً لايريد ان يكون هناك من هو أفضل منه.

"وتذكر، إن التغنيّ بالمظاهرِ ربما يرفعكَ عند الشخص الخطأ، لكن حتماً سَيُسقط مكانتك عند الشخص الصح، ثم يسير بك نحو هلاكك وتشتيتك، فابقى كما أنت دون تظاهراً أو تصنع."

لكلِّ مَنْ يَظُنُ أَنَّ الحُرِيَةَ فِي إِظْهَارِ الجَسَدِ

حُرِيَةُ الجَاهِلِ

" إنَّ التحررَ هو تحرر العقول، وليس تحررَ الأجسادِ، وكل تحررٍ مخالفٍ للدينِ فهو فساد "

كم أُشفقُ على حالِ أمةٍ اقتصرت حريتها على خلعِ ملابسَ نسائها.

إن الحمقى أرادت بحريتها تمزيقَ ثوبها ،وإبرازَ مفاتنها حتى أودى بها الحال إلى أن تصبح سلعةً لمن هم حمقى مثلها، يشترونها بأبخسِ الأثمان.

كما أن السفيهَ ظن الحريةَ في أجسادِ النساء.

ربما أرادوا تقليد الغرب وأمريكا وكثيراً من الدول المبيحة لتلك الأفعال.

من منطقكم هذا أسألكم، وأنا من سيجيب على هذا السؤال

هل اقتصرت حريةُ الغرب وغيرها على التعري..؟

بكل تأكيد لا لم تقتصر بل إنهم حلَّقوا في الفضاء، وصعدوا القمر وغطسوا في المحيطات، وتسلقوا الجبال، ونشروا العدلَ بينهم.

أما أنتم فلم تأخذوا من الانفتاحِ سوى الرزيلة، وحبكم للجنس طغى على الذات، فأوقفتم العقل المفكر، وأسود القلبَ بعد بياضٍ وصفاء، إنها لبئسَ الحريات حريتكم.

ومن المؤسف أنها تنتشرُ كنا تنتشر النار في الهشيم ، إنهم يفسدون ماحولهم كالخمش في الجرح العاري مصيره البتر، فإما أن يصلُحَ الراعيَّ أو يُبتر المجتمع بأكمله.

لِكُلِّ سَفِيهٍ

تتهافتُ ثلةٌ من الحثالة إلى إرضاءِ القائد الذي لم يكن يوماً ما في مكانه الصحيح، فيملأ عقولهم بأذرعةٍ كثيرة للدفاع عنه، فتجدهم يتسابقون للموت من أجله كما يتسابق قطيع الغنم من أجل الوصول إلى الأعلاف، ويفنونَ واحداً تلوَّ الآخر، ولا يعرفونَ بأنهم ضحية قرارات مصلحةِ فردٍ مثلهم إلا عندما يوشكون على نهايتهم، فالموت أمامهم، والعودة لتحكيم عقلهم أصبحت مستحيلة.

أُخاطبكم وأعلم أنكم صمٌ بكمٌ، لكن عسى أن يتعظ من تراوده نفسه أن يكون معكم.

أنتم ضحية أفكار عدةِ أشخاص يمثلون السياسة الملعونة، التي تكون هي المستفيد الوحيد فقط، ولو في هدم الكعبة وإحراق بيت المقدس مايخدمُ سياستهم وبقاؤهم لفعلوا وأقنعوكم بأن هذا العملَ صحيح ولَكنتم أنتم المنفذ والضحية.

فإن عُدت منتصراً فبئسَ انتصاراً من أجل إرضائهم، وإن عدت مهزوماً فستصبح عدة أجزاء في كيس قمامة مرميةً في إحدى الحاويات.

السياسة تحاربكم حتى وإن كنتم بين صفوفها، ولا تحارب من أجلكم، ولو عدت للماضي قليلاً لوجدتها أنها قد وضعت الأقصى في حكم الصهاينة، وولت عليكم من يكمّ أفواهكم عن المطالبة به، حتى أصبح معظمنا بعد ما يقارب أحد عشر عقداً لا يهمه أن يتحرر الأقصى أو أن يبقى ضمن حكم الصهاينة.

فمن هذا المنطق ننطلق :

إن كان الأقصى ومكانته الدينية والمعنوية، وحبه في قلوب الناس تخلا عنه حكام العرب من أجل السياسة، فمن أنت حتى يحاربوا أحداً من أجلك.

آن لك إن تستيقظ.

أخيراً..

ها أنا أجلس على شرفتي من جديد، وبيدي ورقة وقلم ، أراقب الرياح التي تعصف بكل الإتجاهات معلنة الخريف، وأوراق الأشجار الشامخة تسقط عصية هرمة متناثرة تملأ الساحات حولي، تتلاعب بها الرياح فتتهالك على زوايا الرصيف منكسرة نازفة دم الوفاء بغزارة كأبناء وطني.

والطيور تلوح بأسراب في أفاق السماء، تعلن مزيدا من الهجرة نحو هدف مرموق، وتذرف دموعا حارة على فراق وطنها .

يسألني أحد المقربين :متى ستتوقف عن التأمل والكتابة

فأجيبه، لن أتوقف مادامت يدي قادرة أن تمسك بقلم، أنزف حبره على ورقتي، إنه حريتي رغم العوائق أنتقد به دون تعصب ويبقى له أثره حتى لو رحلت، لا أخافن به ظلم سلطان،

فكم من سلطان خائفٍ من حُبر قلم

لن يوقفني شقاء الزمن طالما أنني أجيد إستعماله فلن أدعه يوما.

فيجيبني : إذا ستبقى غارقا في الخريف والقلم.

أجيبه :إنه ليس خريفا كما تظن لقد حل علينا الخريف منذ إثنى عشر عاما، لم تتساقط به

الأوراق فحسب بل أُقتلعت الشجرة بأكملها، وسقطت منازلاً وأشلاء

إنه خريف حب، خريف وطن، صدقني لا أعلم كم خريف مر على قلبي حتى إنطفأ.

_____ خريف _____